

قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم \* \* \* لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل  
و منهم السیرافی النحوی الحسن بن عبداً كان ینسج ویأكل من كسب یده، و منهم الشیخ أبو  
حامد الاسفراینی، قیل فی سیرته: إنه إمام المذهب علی ا لاطلاق وشیخ الإسلام و المسلمین  
قاطبة، و كان یحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه، كان هذا الشیخ یشغل حارساً فی اللیل لبیوت  
الناس، و یقرأ و یطالع علی ضوء فانوس الحرس، و منهم الزبیدی محمد بن یحیی تزیید مصنفاته علی  
مئة تصنیف فی شتی العلوم و الفنون، و قد بلغ به الفقر و الجوع أنه كان یضع نواة فی حلقة  
یلوكها لیتعلل بها.

و منهم عبدالقادر السهروردي كان یبقي الیوم و الیومین لا یذوق الزاد، و كان ینقل الماء  
بالقربة بأجر زهید. و كان الشهید الثاني زین الدین العاملي علی علمه و مكانته ینقل الحطب  
علی ظهره إلى أهله لعجزه عن أجرة الخادم، و باع الشیخ عبدالمحسن الصوری عمامته لیشتري  
بثمنها قوت یومه، و یکفی هذا العدد الیسیر مثالا لحیة قادة الفکر وائمة الدین و اللغة  
البائسین، و تمهیداً ل بیان فکرة الزهد و أسبابها.

عاش الخلیل فی خص من القصب لا یملك فلسین، و اشتغل شیخ الإسلام و المسلمین حارساً، و مات  
الافش من الجوع، عاش هؤلاء و أمثالهم فی الحرمان و هم یرون إلى الاموال تجبی من العامل  
و الفلاح و غیرهما فی شرق الارض و غربها لیبذرها الخونة و المقامرون علی الحرام و الفسوق،  
و یمتلكون بها الدور الشاهقة و الضیاع الواسعة، و كان من نتیجة هذا الوضع الشاذ أن تراكم  
السخط و الاستیاء فی نفوس الشیوخ المحرومین من الذین قدمنا ذكرهم، و الذین لم نأت لهم علی  
ذكر و عوضاً عن أن یحملهم هذا الاستیاء علی النضال و جهاد القائمین علی الظلم، فقد انقلب  
فی نفوس الكثير إلى یأس من الاصلاح و تبدل الحال، و تولد من هذا الیأس فکرة الزهد فی  
الحیة الدنیا، و التهوین من شأنها، و كان لهذه الفکرة خطورتها و تأثيرها فی الحیة  
الاجتماعیة بین المسلمین، فكتب علماؤهم فی الزهد و أطالوا، و دعو إليه فی امساجد  
و المحافل، و ألبسوه ثوب الدین و القداسة،